

المجلد: 07 / العدد: 01 / جوان (2023)، ص. 179/187
الطاقة الإقناعية للحُجج المعتمدة على علاقات رياضية في شعر ابن الخطيب

The persuasive power of arguments based on mathematical relations
in the poetry of Ibn al-Khatib

أ.د. مرسل بولشار
boulacharmrs17@gmail.com
جامعة تيسمسيلت

عباس بوزيدي*
abbas.bouzidi@cuniv-tissemsilt.dz
جامعة تيسمسيلت

مخبر الدراسات النقدية والأدبية المعاصرة
(الجزائر)

(الجزائر)

تاريخ النشر: 2023/06/02

تاريخ القبول: 2023/04/14

تاريخ الاستلام: 2022/11/03

ملخص:

الخطاب الحجاجي خطابٌ سُلطوي، غايته حُفْل المتلقي على الإذعان والانتقال من موقفٍ ابتدائي إلى موقف جديد، وفعاليته هذا الحمل مرتبطة أشد الارتباط بالطاقة الإقناعية للخطابات الحجاجية، وهي منجزات تتباين من حيث بنيتها ووجهاتها وقدرتها على استدراج العقل البشري، مما يغري هذا البحث إلى محاولة تمثيل ما تقدمه الحجج المعتمدة على علاقات رياضية من قيمة إقناعية، راصدا نقطة من نقاط التماس الحرجة بين الحجاج كفن إقناع عقلي، والشعر كخطاب تخيلي، والرياضيات كعلم مجرد استنتاجي، متحسسا إستراتيجيات التوليف بين الطابع الجدي للحجاج، والحس الفني للشعر، متخذا من شعر الفيلسوف الأندلسي لسان الدين بن الخطيب مادة تمثيلية له. كلمات مفتاحية: الرياضيات، الإقناع، الحجاج، ابن الخطيب، الشعر.

Abstract:

argumentative discourse is an authoritarian discourse. its goal is to compel the recipient to acquiesce. and the effectiveness of this compulsion is related to the persuasive and the effectiveness of this compulsion is related to the persuasive energy of discourses that vary in terms of their structure and their ability to lure the human mind. Thus, this research is concerned with detecting the persuasive value that is offered by arguments, which are based on mathematical relations. This research also aims to monitor contact points between argumentation, poetry, and mathematics. It also aims at sensing the synthesis strategies between the serious nature of argumentation and the artistic sense of poetry, taking poetry of Ibn Al-khatib as representative material.

Keywords: Math; Persuasion; Argumentation; Ibn al-Khatib; Poetry.

1. مقدمة:

تُقسّم الحجج بالنظر إلى بنائها إلى أصناف عدة، من بينها: الحجج شبه المنطقية المعتمدة على علاقات رياضية، وإن التأمل في محمول هذا الاسم يحيل إلى نتيجتين متناقضتين؛ أولاها: (عدم الصرامة)، الذي نلمسه في

المركب الإضافي: (شبه منطقية)؛ إذ المادة الحجاجية إما أن تكون منطقية أو غير منطقية، والثانية: (الصرامة)، التي نلمسها في المركب الوصفي: (علاقات رياضية)، نسبه إلى الرياضيات؛ العلم الدقيق الصارم "المجرد ذي الطابع الاستنتاجي، الذي يُبنى بالبرهان انطلاقاً من عدد من المسلمات"¹، ومن المعلوم ضرورة أن الصرامة وعدم الصرامة نقيضان، فكيف لهما أن يجتمعا في بناء حجاجي واحد؟ وما حدود الطاقة الإقناعية لحجج تعتمد على علاقات رياضية بالنظر إلى أن هذا النوع من الحجج غير ملزم؟ وهل يمكن للشعر أن يستوعب هذا النوع من الحجج؟

تسعى هذه الورقة البحثية إلى تحسس خيطٍ محتتملٍ واصلٍ بين الحجاج كظاهرة لغوية ومفهوم العلاقات الرياضية، و الكشف عن مدى قدرة الشعر على استيعاب هذه المادة كمادة تكوينية، كما تسعى إلى قياس الطاقة الإقناعية لهذا النوع من الحجج.

وفي سبيل تحقيق ذلك تنتهج الورقة التعريف بالعلاقات الرياضية واحدةً واحدةً، وبيان منزلتها من الحجج شبه المنطقية، مع التمثيل لكل واحدة منها، ومحاولة قياس الطاقة الإقناعية لكل حجة من خلال عرضها على ثنائية (الوجهة المنطقية/ والمغالطة)، مستفيدة أمثلتها من شعر "ذي الوزارتين أبي محمد لسان الدين محمد بن عبد الله بن الخطيب السلماي الأندلسي، (713هـ / 1313م - 776هـ / 1375)، الشاعر والفيلسوف والمؤرخ، من أشهر الشخصيات الأدبية والعلمية في عصره"²

2. الحجاج وتجلياته في الخطاب:

يسعى الباث إلى التأثير في المتلقي عن طريق خطابٍ محملٍ بـ "تقنيات... من شأنها أن تؤدي بالأذهان إلى التسليم بما يُعرض عليها من أطروحات، أو أن تزيد في درجة ذلك التسليم"³ فقد يكون المتلقي خالي الذهن من أطروحة ما، أو يكون معارضا لها، أو متوجسا منها، أو مسلما بها إلى درجة ما من درجات التسليم، فإذا وُضع تحت ضغط خطاب حجاجي ذي وجهة منطقية أو مغالطية... فقد وقع عرضة للانتقال من وضعيته الابتدائية إلى وضعية جديدة مرتبهة بالطاقة الحجاجية للخطاب.

إن للأقوال الموجهة بغرض التأثيرات السابقة اشتغالا حجاجيا داخل الخطاب، وكثافة هذا الاشتغال عنصرٌ فارق في تحديد وصف الخطاب من خطاب مغرّق بالحجاج، أو مُحمل به بدرجة أقل، أو غير حجاجي، وهو - أي الاشتغال - ما تدرسه نظرية الحجاج بوصفها ممارسة نقدية أو شبه نقدية، يقول ديكر (Ducrot): "ما تدرسه نظرية الحجاج في اللغة هو اشتغال الأقوال داخل خطاب ما، أي هو تسلسل الأقوال وتواليها داخل الخطاب بصورة استنتاجية، وبعبارة أخرى إنها تدرس منطق الخطاب"⁴ ولاشك أن اشتغال الأقوال داخل الخطاب يتحرك وفق عمليات مخصوصة ومتباعدة، تُؤثر بفاعلية في التشكيل البنائي للحجج، مما دفع الدارسين إلى تقسيم الحجج إلى:

حجج شبه منطقية - *Arguments quasi-logiques*

حجج تؤسس على بنية الواقع - *Arguments basés sur la structure du réel*

حجج تؤسس بنية الواقع - *Arguments qui fondent la structure du réel*

حجج تستدعي القيم - *Arguments basés sur les valeurs*

حجج تستدعي المشترك - *Recours aux lieux communs*

والذي يعنينا في هذه الورقة البحثية ما يسمى بالحجج شبه المنطقية؛ لأن العلاقات الرياضية - وهي أبرز ركائز عنوان المقال - فرعٌ من الحجج شبه المنطقية كما سيظهر في العنصر الموالي.

3. الحجج شبه المنطقية: *Arguments quasi-logiques*

تتف الحجج شبه المنطقية في منزلة خاصة، فلا هي منطقية تماما (تتسم بالصرامة المطلقة وليس فيها ما يثير الاعتراض)، ولا هي مُفرغة من المحتوى المنطقي، فهي كما يقال: عنها دائما: في منزلة بين منزلتين.

حجة منطقية	حجة شبه منطقية	حجة غير منطقية (قريبة من مفهوم المغالطة)
------------	----------------	--

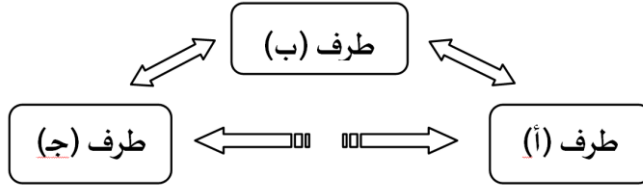
وتستمد الحجج شبه المنطقية قوتها الإقناعية حسب عبد الله صوله: "من مشابقتها للطرائق الشكلية (Formelle) والمنطقية والرياضية في البرهنة، لكن هي تشبهها فحسب وليست هي إياها؛ إذ في هذه الحجج شبه المنطقية ما يثير الاعتراض فوجب من أجل ذلك تدقيقها بأن يُبذل في بناء استدلالها جهدٌ غير شكلي محض (Non formel) ورغم ذلك تبقى الحجج شبه المنطقية تعتمد البنى المنطقية مثل التناقض (Contradiction) والتماثل التام أو الجزئي (Identité totale ou partielle) ومثل قانون التعدية (La transtivité) كما تعتمد الحجج شبه المنطقية العلاقات الرياضية، مثل: علاقة الجزء بالكل وعلاقة الأصغر بالأكبر وعلاقة التواتر وغيرها"⁵ ومنه فإن هذا النوع من الحجج لا يكون ذا وجهة إقناعية إلا إذا شابته الطرائق الشكلية والمنطقية.

يقسم أكثر الدارسين الحجج شبه المنطقية إلى قسمين:

- أ- حجج شبه منطقية تعتمد بنى منطقية: من بينها (التناقض *Incompatibilité*)، أو ما يسمى بعدم الاتفاق، كاحتجاج على كذب متكلم ما باختلاف أقواله عن أفعاله، ومثل (التماثل *L'identité*)، الذي من نماذجه تعريف الشيء بنفسه، كأن نقول عندما نريد مدح الرجل كجنس وتفضيله على المرأة: (الرجلُ رجلٌ) وهي مماثلة ذات طابع مغالطي تستغل اختلال الدقة في التعريف، وما في ذهن المتلقي من فكرة إيجابية أو سلبية للمعرف.
- ب- حجج شبه منطقية تعتمد العلاقات الرياضية: من بينها الحجج القائمة على الاحتمال، الحجج القائمة على التعدية، الحجج القائمة على تقسيم الكل إلى أجزائه المكونة له، الحجج القائمة على إدماج الجزء في الكل (حجة الاشتمال). وفي ما يلي بيان مختصر لطبيعة هذا النوع من الحجج وتحسُّس لحضورها في شعر لسان الدين بن الخطيب.

1.3 الحجج القائمة على التعدية: *Arguments de transitivité*

التعدية تتجاوز الشيء إلى غيره "تحققها الصيغة التالية: [إذا كانت أ = ب، وكانت ب = ج، نستنتج أن أ = ج] وعلى ضوءها تُصاغ القاعدة الحجاجية: (حليف حليف، حليف)"⁶



إذا كان التحالف رابطاً بين طرفين أول وثان، ثم تكون حلف بين الطرف الثاني وطرف ثالث، تعدّى الحلف تبعاً لذلك إلى أن يكون بين الطرف الأول والطرف الثالث، ولا يفهم من هذا أن طبيعة العلاقة في التعدية هي بالضرورة المساواة بين الأطراف أنفسهم؛ لأن الحليف لا يساوي الحليف، بل قد يشابهه في التوجه والعاطفة، وهذه العلاقة لا ترتبط بمفهوم الحلف والصدقة ارتباطاً وثيقاً، بل تتخذ نموذجاً لشكل من أشكالها، فقد بُنيت العلاقة على التشابه، أو التوالي، أو الهرمية، أو التضاد، وغير ذلك...

وتعدّ التعدية من أشهر علاقات الرياضيات، جاء في كتاب الإبداع والإمتاع في الرياضيات لعلاء حسن أن: "أول من استخدم مصطلح علاقة متعدية بمعنى: إذا كان (أ) أكبر من (ب)، و (ب) أكبر من (ج) فإن (أ) أكبر من (ج) هو الرياضي الإنجليزي دي مورجان 1871"⁷، وتطبع هذه المعادلة ذات الصبغة الرياضية بالصبغة الأدبية في الشعر، ومن ذلك ما جاء في قول ابن الخطيب:

أحبُّ لحبها جملي وزحلي وعزمي والقناعة⁸ والطريقا
ومن أخشاه من سبع ولص فكيف فريثها سلموا فريقا
وكيف أخصّ باسم الحب إن لم أحبّ لأجلها إلا صديقا⁹

يمثل الأبيات العنصر الأول، الذي سنرمز له بالرمز (أ) وهذا العنصر تربطه علاقة ود بالعنصر الثاني (امرأة) وهي عنصر

سنرمز له بالرمز (ب) وقد تعدى الحبُّ إلى عنصر ثالث (ج) وهو متعدد: (الجمل والرحل - العزم - الفتادة والطريق - والسبع واللص - والفريق - الصديق)، وإن لم تكن العلاقة بين المحبوبة التي تمثّل العنصر الثاني (ب) وبين العناصر المذكورة جميعها المرموز لها بـ (ج) علاقة حُبّ، كما ينص هذا الجدول:

طرف (ج) تعدى إليه الحب	علاقة الطرف (ج) بالطرف (أ)	علاقة الطرف (ج) بالطرف (ب)
الجمل والرحل	وسيلةٌ لبلوغ المحبوب تُفضي إلى المحبة	لا وجود لعلاقة
العزم	وضعية نفسية تدفعه إلى بلوغ المحبوب ومنه تفضي إلى المحبة	لا وجود لعلاقة
الطريق والفتادة	أداة تُبَلِّغه المحبوب، وشجرة شوكة يراها على الطريق، تفضي إلى المحبة	لا وجود لعلاقة
السبع واللص	مصاعب تفضي إلى المحبة	لا وجود لعلاقة
فريق المحبوبة (قومها)	أصهاره إن حصل الزواج وهي علاقة تفضي إلى المحبة	القربة
صديق المحبوبة	الصدقة	الصدقة

يمثّل السطر السفلي من الجدول السابق نموذجاً للتعدية، قريبا من النموذج الحجاجي (حليف حليفي حليفي) حيث إن العلاقة بين الطرف (ب) والطرف (ج) هي علاقة صداقة ومودة، ومنه فإن العلاقة بين الطرف (أ) والطرف (ج) علاقة ودية، وهي علاقة غير معلنة إعلاناً صريحاً في الآيات، إذ جعلها الشاعر من جنس البديهيّات، وذلك في قوله:

وكيف أخصّ باسم الحب إن لم أحب لأجلها إلا صديقا

كما يكشف الجدول عن غياب العلاقة بين الأطراف المتعددة (ب) والطرف (ج)؛ إذ لا علاقة لجمل المحب بالمحبوبة، ولا علاقة ودّ بين طريق المحب والمحبوبة، والأبعد من ذلك إمكانية وجود علاقة ود بين المحبوبة والسبع أو اللص؛ اللذين يقابلهما المحب عادةً عند مسيره إلى المحبوبة، ومع هذا كله فإن الطاقة الحجاجية لهذه التعدية خصوصا التي عناصرها (المحب والمحبوبة واللص أو السبع)، أقوى من التعدية التي أمكن الوصول فيها إلى العلاقة بين (الطرف ج والطرف ب)؛ لأن حب ما لا يُحِبُّ أو ما يفترض به أن يكره من أجل المحبوبة هو أفصح الحب وأعلاّه درجةً، وهذا التصرف الفني غيب الحقيقة (وهي عدم وجود علاقة)، وأحلّ محلها علاقة نفسية يمكن أن تُفسّر بالتذكّار أو السببية...

ومنه يمكن القول إن حجاجية هذا التركيب متجسدة أولاً في حب طرف جديد من أجل طرف محبوب، فالمحبة المتعدية إلى غير المحبوب دليل على الحب، كما تتجسد ثانياً في حب ما لا يحب لأجل المحبوب، فإذا كان الباث يجب لأجل المحبوب ما يُحِبُّ وما لا يُحِبُّ، فإن حبه قد خرج من دائرة الشك. وهو ما يزيد الطاقة الإقناعية لهذا الخطاب، ومع كل هذا فإن هذه الحجة لا تخلو من حِسٍّ مغالطي؛ ذلك أن حُب الشاعر لما لا يُحِبُّ مُعطى لا دليل عليه، وما توصلنا إليه إلا من تصريحه هو عنه.

مثال ثان: قال لسان الدين بن الخطيب:

من كان أنصارُ النبي جدوده فملائكُ السبع العلا أنصاره¹⁰

الطرف (أ): أنصار النبي صلى الله عليه وسلم
الطرف (ب): الملائكة. (تربطها بالأنصار علاقة مؤازرة؛ لأن الله مد المؤمنين بأنصار من الملائكة).
الطرف (ج) حفيد الأنصار.

عَقَدَ الشاعر انطلاقاً من علاقة المؤازرة الكائنة بين الملائكة وأنصار النبي صلى الله عليه وسلم علاقةً مشابهةً بين الملائكة وحفيد الأنصار (الممدوح)؛ فلما كانت الملائكة تنصر الأنصار لإخلاصهم، وكان أحفاد الأنصار سائرين على الطريق نفسها، فإن الملائكة ناصرة لهم، وقد تعدت العلاقة من كونها علاقة بين الملائكة والأنصار، إلى علاقة بين الملائكة وحفيد الأنصار؛ فوجود رابط النسب مع وجود رابط (مُلَمَّح به)، وهو السَّير على النهج نفسه، يجعل من الطبيعي حصول علاقة مؤازرة بين الملائكة وحفيد الأنصار، فإذا أثبت الشاعر أن ممدوحه مُؤَاوَزٌ من الملائكة، فقد أثبت له كلَّ سبيل النصر من أقوى مؤازر وهو الله تعالى، وإن إثبات سبيل النصر يجعل لهذا التركيب طاقة حجاجية معتبرة، مع أنه لا يخلو من شق مغالطي، إذ إنه ما من دليل على أن علاقة النسب تُكسب الحفيد أفضلية ملموسة على خصومه، ولا دليل على أن الحفيد يسير فعلاً على خطا أجداده من أنصار النبي الكريم صلى الله عليه وسلم.

2.3 الحجج القائمة على الاحتمال: *L'argumentation par le probable*

"يؤسّس هذا النوع من الحجج على حظوظ المرء في تحقيق أمرٍ ما، أو إنجاز حدث معيّن، أو اتخاذ موقف محدّد وخلفيته واضحة، إنها الإيمان بأن المطلق نادر وأن الأمر لا يعدو أن يكون في أغلب الحالات محتملاً"¹¹ وحظوظ المرء في تحقيق أمرٍ ما، أو إنجاز حدث معيّن، هي إطلاقاتٌ ترجيحية تتربّت عن التوقع الذي يغلب عليه التّطلع إلى تحقيق الشيء في المستقبل، فتصبح غلبة حصول الشيء بمنزلة الحجة، وتستمد هذه الحجة قوتها غالباً بالقياس على الماضي، كأن يُقال: فلانٌ لو رأى نملةً لفرّ منها خوفاً، ففراره من النملة حجةٌ على موقفه الذي لم يتحقق بعد، تُسّس على مواقفه المعتادة، ويبقى الفرار محتملاً فقط، لم يقع بعد (لم تقع الرؤية ولم يقع الفرار)، وتُعَدُّ الحجة هنا شبه منطقية غير ملزمة؛ لأنها مبنية على حصول شيء في المحتمل، إذا لا يتعيّن في كل الأحوال أن يفر الموصوف...

يقول ابن الخطيب مخاطباً أحد السلاطين في قصيدة أرسلها إليه بمدينة سبته:

مولاي مذ بتّدت دياري لا تسَلْ عن طول ليلى وارتقاب صباحي

لو كان يا مولاي أمري في يدي يوما لطرت إليك دون جناح¹²

اجتهد ابن الخطيب في البيت الأول في بيان ما آل إليه حاله بعد فراق السلطان وقد باعدتهما الديار، مُدَلِّلاً على ذلك بطول الليل وارتقاب الصباح، وهي علامةٌ نمطية للوحشة والانتظار والشوق، وفي سبيل المحاجة لما صرّح به جاء بالبيت الثاني ويبيّن أن لو كان الأمر في يده لطار إلى السلطان بدون جناح، وبما أن الأمر ليس في يده، وبما أن الطيران ممتنع في حقه، فإن تحقيق الارتحال متعذّر وإن توفرت دوافعه، وما جاء هذا البيت إلا خدمة لما قرّر في البيت الأول من لوازم المحبة، والحجة هنا شبه منطقية؛ تعتمد على علاقة احتمال؛ إذ الاحتجاج للمحبة بـ (المحتمل غير ممكن الحدوث) يصرف الحجة أكثر عن الإلزام، وهذا النوع من الحجج وإن لم يكن ملزماً إلا أنّ له في قلوب الممدوحين عموماً وأصحاب الشأن خصوصاً أثر السحر.

وقريبٌ من هذا التأسيس للحجة القائمة على الاحتمال ما قاله ابن الخطيب في هذا البيت:

إن أصبحت أرض الخلافة معدنا فالناس ثريته وأنت فقاره¹³

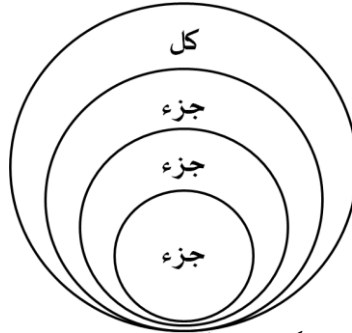
يقوم هذا البيت على احتمال مُرَكَّب يُوضِّحه الجدول التالي:

مَحْتَمَلٌ عام	مَحْتَمَلٌ فرعي ذو طابع عام بمرتبة دنيا	مَحْتَمَلٌ فرعي ذو طابع خاص بمرتبة عليا
أرض الخلافة معدنٌ	الناس ثريته	الممدوح منه بمنزلة النُّصار ¹⁴

جاء إسقاط الصفات على المعادن باحتمال أن تكون أرض الخلافة معدنا، والناس منها بمنزلة: التراب، والممدوح منها بمنزلة النُّصار (الذهب الخالص)، فإذا كانت أرض الخلافة في عداد المعادن، كان الناس منها ترابا، والتراب في هذه المعاني أخطأ ما يُشَبَّه به، والممدوح ذهب، والذهب في هذه المعاني أنفس ما يُشَبَّه به، فالفرق الكائن بين التراب والذهب على مستوى الاحتمال هو الفرق الكائن بين الممدوح والناس؛ لأن الفرق بين المعادن أظهر للمتلقين وأقوى حجية من أن يقال: فلان فاضل، وفلان مفضول. ومع ذلك تبقى هذه الحجة من أضعف الحجج المعتمدة على علاقات رياضية؛ لأنها مؤسسة على ما لم يقع، وهي أقرب إلى أن تكون مغالطة، لشبهها بمغالطة المقامر التي تنطوي "على خطأ في فهم فكرة الاحتمالات *probabilité* ... ونحن نرتكب مغالطة المقامر عندما نظن أن ما وقع في الماضي له تأثير على الأرجحية أو الاحتمالات الحالية" ¹⁵

3.3 تقسيم الكل إلى أجزائه المكونة له: *Arguments de division*

ينص هذا الصنف من الحجج على تقسيم كلٍّ إلى أجزائه المكونة له، وبيان أن حكما ما ينطبق على كل جزء من أجزائه ينطبق تبعا لذلك على الكل، على هذا النحو يبدو هذا النوع من الحجج مقنعا في ظاهره، لصبغته الرياضية الواضحة، ولكنه في الحقيقة لا يعدو أن يكون شبه منطقي فحسب؛ لأن الأجزاء لا تُعبر في كل الحالات وبدقة عن الكل¹⁶ فإذا أراد أحدهم شراء قطعة أرض للزراعة، أخذ حفنة ترابٍ وأرسلها إلى المختبر، فإن تبين أنها صالحة حكم على كل الأرض بالصلاح...



تَكْمُلُ ميزة تقسيم الكل إلى أجزائه المكونة في أن قليل المعرفة يُغني عن كثيرها؛ فالمعرفة بالجزء أبسط من المعرفة بالكل، والوصول من صفة الجزء إلى صفة الكل اختصار ذكي، وله قيمة حجاجية معتبرة، فكثيرا ما تكون المعرفة بالجزء مشتركة بين الباطِّ والمتلقي... وقد استثمر ابن الخطيب هذا التصرف الحجاجي إذ قال:

مَنْ مُنْصَفِي مِنْ جيرة لم يرحموا دمعاً على عَرَصاتهم أجزئته

راعوا فؤادي بالصدود وما رَعُوا عهداً لهم حافظته ورعيت

طاوَعْتُ قلبي حين لَجَّ لجاجُهُ في حُبهم ولو انتهت لَهْمَتُهُ¹⁷

بأن
مع

الآيات
عاطفي

نُصح
الشاعر في نزاع

مجموعة من الناس، نعتها بالجيرة غير الراحمة؛ إذ يبكي الرجل في عَرَساتهم ولا يهتزّون له، ويصدّون رغم الوفاء ورغم المحبة... هذه الأحكام أطلقها الباث على الجميع، مع أن علاقته العاطفية لم تكن إلا مع واحدٍ منهم، وهو ما يبيّنه البيت التالي:

يا مَنْ سُكوتي في هواؤِ تفكّرَ في شأنه وإذا نطقْتُ عنَيْهُ¹⁸

إذن: الصدود طرف واحد، وهذا الطرف جعله الشاعر بمثابة الجزء من الجماعة، وألقى اللومَ تبعاً لذلك على الجماعة، حتى بدا كأنه في صراع عاطفي مع الجميع، وهذا من باب التشنيع على المحبوب.

يمكن القول عن هذه الحجة انطلاقاً من بنيتها ومستوى وجاهتها بأنها حجة ذات طابع مغالطي (على مستوى التركيب)، ومغالطة التركيب أو التعميم المتسرع هي: "إضفاء صفات الجزء على الكل، يقع المرء في مغالطة التركيب حين يذهب إلى أن ما يصدّق على أفراد فئة ما، أو أجزاء كلّ ما، يصدق على الفئة... فقد يعمّق لقائد عمليات خاصة أنه حين يضم في فوجه أقوى رجال الجيش جميعاً، يستوي له أقوى فرق العمليات؛ غير أن قوة الفوج تعتمد على عوامل أخرى غير قوة كل جندي على حدة؛ تعتمد على انسجام الأداء وسرعته، والروح المعنوية للفريق وقدرته على العمل تحت أصعب الظروف وأقلّ الإمدادات. تكمن المغالطة هنا في عدم القدرة على إدراك أن الجماعة كيان قائم بذاته ومتميز عن أعضائه، ويتصف من ثم بخصائص قد لا تنطبق على الأفراد"¹⁹

ولمبدأ تقسيم الكل إلى أجزائه المكونة برهاناً آخر هو: (البرهان ذو الحدين)، وهو برهان يعتمد فرضيتين موصولتين إلى نتيجة واحدة، أو نتيجتين لهما القيمة نفسها، كأن يُقال: (احذر بني فلان، ففيهم السارق وفيهم التّكبير)، ومن أمثلة البرهان ذي الحدين ما جاء في قول ابن الخطيب في معرض كلامه عن الطعام وما يُخلّقه من ضرر في الجسم:

ثم قال:

حَفّ من غداءٍ غير معتدل القوى واحذر طعاماً يُفسد الأمشاج²⁰

والمرء من فمه يُصاب وفَرْجِه فيعودُ موردهُ الشرّوب أجاجاً²¹

فلأجل البرهنة على فساد الطعام، وعلى أنه مُوصل إلى نتيجة واحدة - وإن تعددت آثرها ومواطنها - قال الباث: إنّ ضرر هذا الطعام إما أن يصيب الفم؛ فيصبح المرء فاسد الذوق، أو يصيب الفرج؛ فيتسبب في تعسر البول، فعاقبة هذا الطعام وخيمة لا محالة، والحدان هما أصابة الفم، وإصابة الفرج، فإن حصل أحدهما وهو جزء، حصل التنغيص وكان دليلاً على فساد الطعام.

4.3 إدماج الجزء في الكل أو حجة الاشتمال: *L'argumentation par inclusion*

إدماج الجزء في الكل هو إسقاط الحكم العام (الكلّي)، على الخاص (الجزئي)، فيما أن الكل أصل، والجزء فرع مشكّل، فإن الجزء لا يخرج عما حكم به على الكل، وهو بهذا "قائمٌ على النموذج التالي: (ما ينطبق على الكل ينطبق على الجزء) من قبيل القاعدة الفقهية في تحريم الخمر: (ما أسكر كثيره فقليله حرام) ... وتكون العلاقة في إدماج الجزء في الكل منظورة إليها عادةً من زاوية كمية، فالكل يحتوي الجزء، وتبعاً لذلك فهو أهم منه"²² والحكم على الأهم (الفاضل)، ينسحب على الأقل أهمية (المفضول).

وكثيراً ما يرتبط الضرب السابق من الحجاج بسياقات التشفي وضرب الأمثال وتبع الهنات من خلال العودة إلى التاريخ والتجارب، كما لا يكاد يغيب عن مواطن تسلية النفس والتصبر... يقول لسان الدين ابن الخطيب ملتصقاً بالتلطّف من بعض ذوي الشأن:

أبا الشرف الأرضي تلطّف بأفيس غزاها غراماً أصبحت تهبّ جنده

وإن أنت لم تفعل فما أنت في بأول مولى جارٍ في حكم عبده²³

يلتمس الباث من المخاطب أن يتلطف بالأنفس المحبة التي آذنتها تبعات المحبة، وإن هو لم يستجب إلى هذه الدعوة، فإن فعله ليس بمستغرب ولا بجديد؛ لأن عادة السادة أن يجوروا على عبيدهم.

الجزء: (المخاطب) الكل: (السادة) الحكم: (الجور)

إذن: الحكم الكلي على السادة أنهم يجورون، والمخاطب سيّد: إذن لا غرابة أن يجور. ومن لطيف هذا الاستعمال تفلّت الباث من التشنيع على المخاطب لمنزلته عنده، وألخوفه من سطوته، فكان أن عزا الجور والظلم إلى طبع السادة؛ حذر أن يبدو السيد منفردا بهذا الجور فيستحيل المدح هجاءً، وهو من باب أن البلوى إذا عمّت خفّت، وعلى نحو من هذه الإستراتيجية صاغ الشاعر البيتين التاليين:

وأظنّب فيك المادحون وأغرّقوا فلم يُجدِ إطنابٌ ولم يُغنِ إغراق

ألسّت من القوم الذين أكفهم غمامٌ ندّى إن أخلف الغيث عَيْدًا²⁴

الجزء: (الممدوح) الكل: (القوم الكرماء) الحكم: (الكرم)

أقرّ الشاعر الممدوح، لكن هذا المدح لا قيمة له، مع أن المادحين أطنبوا وأغرّقوا، وأن الفضل الحقيقي يكتسبه الممدوح (الجزء)، من خلال اندماجه في القوم الذين أكفهم غمام (الكل)، فبما أنه من هؤلاء القوم فهو بالضرورة رفيع الشأن. تتجسد الطاقة الإقناعية لهذه الحجة - وقد تعالقت مع الشعر - في إكساب جزء مخصوص مقومات مؤثرة مرتبطة بالكل، فبدلاً من أن يُنْهَكَ الباث نفسه في وصف الجزء، فإنه يكتفي بنسبته إلى الكل الذي يكون عادة ذا صفات أكثر بروزاً وشهرة، فيوجهها الباث في رفع حدة التشنيع على المهجو في سياق الهجاء، وفي إعلاء شأن الممدوح في سياق المدح... ثم إنها أي الحجة- تجر المتلقي إلى النظر إلى الخاص كعام، مستعينة بظايعها المغالطي؛ فليس لزاماً أن يتصف الجزء بصفة الكل، فقد يكون أبعد عنه شبهاً من أجزاء غير مكونة له، فإنك تجد الشعرة البيضاء في الثور الأسود، وتجد السكرير فرداً من أفراد القرية المحافضة.

4. خاتمة:

انتهت الصفحات السابقة إلى أن الحجج شبه المنطقية تكتسب قوتها الإقناعية من مشابقتها للطرائق الشكلية، ومن ذلك أن منها ما يعتمد على العلاقات الرياضية، من مثل: الحجج القائمة على الاحتمال: المؤسسة على حظوظ المرء في تحقيق أمر ما، والحجج القائمة على التعددية: المؤسسة على تجاوز الحكم إلى غيره، والحجج القائمة على تقسيم الكل إلى أجزائه المكونة له: والمؤسسة على بيان أن الحكم الذي ينطبق على الجزء ينطبق تبعاً لذلك على الكل، وحجة الاشتمال: المؤسسة على إسقاط الحكم العام على الخاص...

كما كشف الورقة البحثية أن الحجج شبه المنطقية لا تنسم بالصرامة وإن اعتمدت العلاقات الرياضية، فاعتمادها العلاقات الرياضية هو اعتماد بنائي قائم على المشابهة (مشابهة في الشكل وطريقة الوصول إلى الحكم)، وهو اعتماد ملتبس بشيء من التمويه، الذي وجهه لسان الدين بن الخطيب لخدمة أغراضه الحجاجية. ومنه يمكن القول: إن للحجج المعتمدة على العلاقات الرياضية قدرة معتبرة على الإقناع، فقد اجتمع فيها الطابع التنظيمي المستفاد من الرياضيات، والطابع التنبؤي المستفاد من المزاوغات المغالطية التي يصعب أن ترد، خصوصاً إذا أطلقت في سياق إبداعي يتملص فيه الباث من دائرة المساءلة.

وانطلاقاً من النتائج المتوصل إليها، تقترح هذه الورقة البحثية مزيداً من البحث على مستوى نقاط التماس بين المباحث العلمية والأدبية، ومحاولة إسقاط الحدود الصارمة التي توهم بعدم تداخل هذه المجالات البحثية. كما توصي بإفراد بحوث موسّعة تحاول القبض على إستراتيجيات الشعراء في شرعنة الحجج المغالطية.

5. الحالات

- 1- مورييس شريل، موسوعة علماء الرياضيات، دار الكتب العلمية، ط5، لبنان، 1991، ص: 5.
- 2- حسن الوراكلي، لسان الدين بن الخطيب في آثار الدارسين، مطابع عكاظ، ط1، المغرب، 1988، ص: 11.
- 3- عبد الله صولة، في نظرية الحجج، دار مسكيلياني للنشر، ط1، تونس، 2011، ص: 13.
- 4- أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، دار العمدة، ط1، المغرب، 2006، ص: 42.
- 5- مجموعة مؤلفين، أهم نظريات الحجج، المطبعة الرسمية التونسية، دط، 1998، ص: 325.
- 6- ينظر: محمد طروس، النظرية الحججية، دار الثقافة، ط1، المغرب، 2005، ص: 31.
- 7- علاء حسن، الإبداع والإمتاع في الرياضيات، دار نشر يسطرون، دط، مصر، 2019، ص: 20.
- 8- القناد شجر له شوك مثل الأبر، ينظر: ابن سيدة المرسي، المحكم والمحيط الأعظم، دار الكتب العلمية، ط1، لبنان، 2000، ص: 298.
- 9- لسان الدين بن الخطيب، الديوان، تح: محمد مفتاح، دار الثقافة، ط1، المغرب، 1989، ص: 716.
- 10- نفسه، ص: 374.
- 11- سامية الدريدي، الحجج في الشعر العربي، عالم الكتب الحديثة، ط2، الأردن، 2011، ص: 213.
- 12- لسان الدين بن الخطيب، الديوان، ص: 235.
- 13- نفسه، ص: 373.
- 14- النصار: الخالص من جوهر التبر، ينظر: ابن منظور الأنصاري، لسان العرب، دار صادر، ج5، ط3، لبنان، 1994، ص: 214.
- 15- ينظر: عادل مصطفى، المغالطات المنطقية، المجلس الأعلى للثقافة، ط1، مصر، 2007، ص: 263.
- 16- ينظر: سامية الدريدي، الحجج في الشعر العربي، ص: 207.
- 17- لسان الدين بن الخطيب، الديوان، ص: 183.
- 18- نفسه، ص: نفسها.
- 19- عادل مصطفى، المغالطات المنطقية، ص: 207- 208.
- 20- لسان الدين بن الخطيب، الديوان، ص: 217.
- 21- نفسه، ص: 218.
- 22- عبد الله صولة، في نظرية الحجج، ص: 13.
- 23- لسان الدين بن الخطيب، الديوان، ص: 287.
- 24- نفسه، ص: 699.

6. قائمة المصادر والمراجع

- 1- أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، دار العمدة، ط1، المغرب، 2006.
- 2- حسن الوراكلي، لسان الدين بن الخطيب في آثار الدارسين، مطابع عكاظ، ط1، المغرب، 1990.
- 3- حمادي صمود وآخرون، أهم نظريات الحجج، المطبعة الرسمية التونسية، دط، 1998.
- 4- سامية الدريدي، الحجج في الشعر العربي، عالم الكتب الحديثة، ط2، الأردن، 2011.
- 5- ابن سيدة المرسي، المحكم والمحيط الأعظم، دار الكتب العلمية، ط1، لبنان، 2000.
- 6- عادل مصطفى، المغالطات المنطقية، المجلس الأعلى للثقافة، ط1، مصر، 2007.
- 7- عبد الله صولة، في نظرية الحجج، دار مسكيلياني للنشر، ط1، تونس، 2011.
- 8- علاء حسن، الإبداع والإمتاع في الرياضيات، دار نشر يسطرون، دط، مصر، 2019.
- 9- لسان الدين بن الخطيب، الديوان، تح: محمد مفتاح، دار الثقافة، ط1، المغرب، 2015.
- 10- محمد طروس، النظرية الحججية، دار الثقافة، ط1، المغرب، 2005.
- 11- ابن منظور الأنصاري، لسان العرب، دار صادر، ج5، ط3، لبنان، 1994.
- 12- مورييس شريل، موسوعة علماء الرياضيات، دار الكتب العلمية، ط5، لبنان، 1991.